الرواية التاريخية عند الغرناطي في كتابه تحفة الالباب ونخبة الاعجاب

ا.م.د.وسن ابراهيم حسين
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد
dr.wasan76gmail.com

تاريخ الاستلام : ٢٠١٩/٧/٩
تاريخ القبول : ٢٠٢٠/٨/٩

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص:

امتاز الغرناطي بانه يصنف بالمؤلفات الكوزموغرافية وتعني الجغرافية بأوسع معانيها، وابو حامد الغرناطي يهتم بذكر المعلومات والملاحظات التي رآها اثناء رحلاته عن الاقطار بل انه يصف البلدان وصفا دقيقا ذاكرا حدودها ويكانها وكافة المعلومات عنها وكذلك العجائب والاساطير المتعلقة بالبلدان ،وكان ابو حامد الغرناطي جغرافيا وعجائبيا ورحالة.

الكلمات المفتاحية :- الرواية التاريخية ،تحفة الالباب، مدينة النحاس .

The historical novel of Gharnati
Masterpiece of the door and elite admiration

A.M.D. Wasan Ibrahim Hussein

College of Education / Ibn Rushd Department of History

Abstract

Al-Gharnati has the advantage of being classified as cosmos, Geography in its broadest sense, And Abu Hamed is notes that he saw during his trips around the countries, Rather it describes the precise description of the countries staring their borders, their populate on, and all information about them. As well as the wonders and legends of countries Abu Hamid was geographic, marvelous, and traveler.

Key words: historical novel, masterpiece of the doors, the city of copper.

المقدمة

يعد ابو حامد الغرناطي الأندلسي واحد من مشاهير الرحالة والجغرافيين الاندلسيين وهو صاحب كتاب تحفة الألباب ونخبة الاعجاب ،وقام برحلة طويلة في المشرق الى وافاه الاجل ،وانعكست حياة ابو حامد الغرناطي الحافلة بالحوادث والحركة والنشاط والتنقل وعلى مؤلفاته، التي كانت غريبة بشكل اكثر من اعاجيبه التي اوردها في مؤلفاته اذ قدم وصفا حضاريا عن الاماكن التي زارها والعجائب والغرائب بأسلوب ممتع وجميل .وكانت احاديثه حافلة بالغريب وكل ما يخرج عن التصديق فنجده يؤكد مشاهدته ذلك بنفسه والحقيقة انه رجل فاضل بعيد عن الكذب ولا تفسير لأعاجيبه وتهويلاته الا بتأثير روح العصر.

اولا: السيرة والنشأة :

هو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ابي الربيع بن محمد بن علي بن الصمد

(الصفدي،١٩٦٠،ج ٣ص٢٤٥-٢٤٦؛المقري ،١٩٦٨،ج ٢،ص٢٣٥)

(AlMakary,1968,p2,p235؛ Al-safady,1960, p245-246)

المازني القيسي الاندلسي الاقليشي الغرناطي القيرواني الاصل ،ابو حامدوابو عبد الله وابو محمد وابو بكر،ولد في غرناطة عام ٤٣٧ه/١٠٩٥م (الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج٣، ص٢٤٥) (Al-safad،١٩٦٠،p3,p245)

اقام في مدينه اقليش[١]. اقامت اسرته في القيروان قبل الرحيل الى الاندلس (كراتشكوفسكي،١٩٨٧، ق٢، ص٢٩٨)(kratshkofske,1987,p2,p298)

رحل ابو حامد عام ٥٠٨ه /١١٣٠ م حين نزول في الإسكندرية وسمع بمصر من ابي الحسن الفراء الموصلي وابي عبدالله محمد بن بركات النحوي.

كانت رحلته فيما يبدو يقصد منها التعلم والمعرفة. ثم عاد الى الاندلس لكنه لم يمكث فيها طويلا حيث عاد للترحال مرةاخرى عام٥١١ه/ ١١٣٣م (الغرناطي١٩٩٣ص١٢٩)(Algrnaty,1993,p129)وفي رحلته هذه مر بجزيرة سردانيا وصقيله[٢]. ليحط اقامته في الإسكندرية ناشرون الى ان وصل سنة ٥١٦ه/١١٣٧م الى

---

[١] اقليش مدينة وبليدة بالأندلس من اعمال طليطلة.

[٢] سردانيا جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الاندلس وصقلية واقريطش اكبر منها غزاها المسلمون وملكوها سنة ٩٢ه في عسكر موسى بن نصير .

بغداد حيث سمع ابى العز احمد بن عبيد الله بن كادش وغيره (الصفدي ،١٩٦١ص ١٤٥)(Al-safady،١٩٦١، p245).اقام في بغداد اربع سنوات متنعما بعطف الوزير يحيى بن هبيرة[٢]. المعروف بحبه للعلم ورعايته للعلماء .

وفي سنة ٥٢٤/١١٤٣م(الغرناطي، ١٩٩٣، ص١٠٧)

(Al-ghirnatiu,1993,p107) نزل ابو حامد في مدينة ابهر [٣] والعام التالي عبر ناشرون قزوين ليصل الأراضي الروسية .ثم قام بثلاث رحلات الى خوارزم[٤] ففي سنه ٥٣٠ه/١١٥٦م دخل بلغارحيث مات احد ابنائه وبغداد وبعد ذلك بخمسة عشر سنة رحل الى باشغرد حيث تزوج ابنه حامد به هذه البلاد واقام هناك

(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٦٨)(Al-ghirnatiu,1993,p68)

وثم رحل في سنة ٥٥٤ه/١١٧٦م وعاد الى بغداد حيث نزل مرة اخرى في ضيافة الوزير ابن هبيرة وفي غضون هذه الاقامة الف الوزير كتابه المعنون "المغرب في عجائب المغرب"[٥]. وفي سنة ٥٥٧/١٢٧٩م استقربه المقام في الموصل حيث نزل عند احد علماء هذه المدينة، واسمه الشيخ معين الدين ابو حفص عمربن الخضر الاردبيلي[٦].

---

(١) صقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة لأفريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والاخر بمسيرة سبعة ايام .

(٢) يحيى بن هبيرة بن محمد الذهلي الشيباني ابو المظفر من كبار وزراء الدولة العباسية ولد في قرية من اعمال دجيل بالعراق تلقي العلم ببغداد واستوزر للخليفة المقتفي بأمر الله واستمر يشغل منصب الوزارة حتى توفى سنة ٥٦٠ه/١١٨٦م.

(٣) ابهر : مدينه مشهورة بين قزوين وزنجان وهمدان من نواحي الجبل والعجم يسموها اوهر .

(٤) خوارزم قصبه بلاد خوارزم ومدينها العظمى وهي اسم الناحيةعامرةوكثرةالاهل ذات اسواق وخيرات .

(٥) سمي بكتاب المجموع الغرب عن عجائب المغرب فرغ من تأليفه سنة ٥٥٥ه/ ١١٧٧م.

(٦) ابو حفص عمربن الخضر الاردبيلي معين الدين الموصلي الصوفي المعروف بالملاءهو شيخ الموصل يوصف بالزاهد والعابد والصالح توفي سنه ٥٧٠ه/١١٩٦م له كتاب(وسيله المتعبدين في سيرة سيد المرسلين) .

وجد ابو حامد تشجيعا لدى هذا الشيخ لتسجيل مشاهداته وما صادفه من العجائب والغرائب اثناء رحلته وفي ذلك يقول مؤرخنا :- "ولما وصلت الى الموصل سنه سبع وخمسون ونزلت في جناب الشيخ الامام الزاهد الماجد معين المسلمين ومحيي سنن سيد المرسلين وخاتم المرسلين بتأليفه وسيله المتعبدين .ابو حفص عمر بن محمد مستوحيا بتأليفه رض الله تعالى وشفاعه نبيه المصطفى ... فشهدت من كرمه واكرامه وتواضعه وبرة بجميع المسلمين...جازاه الله تعالى عني افضل الجزاء ولم يزل أبقاه الله ومن المكارة وقاه" (الغرناطي،١٩٩٣،ص٣٠)(Al-ghirnatiu,1993,p30)

ومن العراق انتقل الى الشام وسكن خلب بضع سنوات ثم ارتحل منها الى خراسان حيث اقام بعض الوقت وعاد اخيرا الى دمشق حيث توفى سنه ٥٦٥ ه /١١٨٧م

(الصفدي ،١٩٦١،ج٣،ص٢٤٦؛المقري ،١٩٦٨ج٢،ص٢٣٥)

(Al-safady1961,p3,p246;Al-makary,1968,p2p235)

ثانيا: وصف الكتاب :

قسم الغرناطي كتابه الى مقدمة واربع ابواب الباب الاول في صفة الدنيا وسكانها ومن انسها وجانها والباب الثاني في صفه عجائب البلدان غرائب البنيان والباب الثالث في صفه البحار وعجائب حيواناتها وما يخرج من العنبر والقار وما في جزائرهامن انواع النفط والنار .والباب الرابع في صفات الحفائر والقبور.

اما عن سبب تأليف الكتاب فان المؤلف يشير في مقدمة كتابه الى ذلك تاكيده على

انه تعلم ودرس على يد علماء اجلاء بعد خروجه من المغرب الاقصى فأشاد لهم بالفضل والعرفان كونهم لهم دور في ان يسهل من عملهم مقال في ذلك "ومنذ ان اولاني الله عزوجل على ايديهم من انواع النعم والاحسان مالا يقدر عل احصائها لسان انسان جزاهم الله عنه افضل الجزاء".(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٣٠)

(Al-Ghrnatiu,1993 ,p30)

ويعود ليعطي سبب تأليفه كتاب (تحفه الالباب ونخبه الاعجاب) ان شيخه الذي لازمه عند نزوله الموصل (ابي حفص عمر بن محمد) حثه ان يكتب مؤلفا فيما

شاهده في رحلته من عجائب البلاد وكانت بالفعل اجابه الطالب للأستاذ فيستطرد ابو حامد في ذكر سببه الخاص في انعكافه على التأليف وهو الغربة حتى انه تمنى ان الله تعالى يمن عليه بالفرج القريب فقال :-"يحثني كلما القاه ان اجمع ما رأيته من الاسفار من عجائب البلاد والبحار ،وما صح عند نقله الاخبار الثقات الاخبار ،فأجبته ذلك لعزوب الفطن،وضيق العطن .وبعد الاهل والوطن .وتشتت الاحوال .وركوب الاهوال وطول الاغتراب .والبعد عن الاحباب ومساورة العذاب وان اسال الكريم المجيب ان يمن علي بالفرج القريب". (الغرناطي،١٩٩٣،ص٣١)(Al-ghirnatiu,1993,p31)

ثالثا: الرواية التاريخية في كتاب تحفة الالباب :

تناول الغرناطي رواية نقلها عن ابن هشام[١] عن نباء الابلق(الانيق)[٢] فقال فيها :-"ان الذي اسسه يعرب بن قحطان[٣] واكمله بعده.

واجمله وائل بن حمير بن سبأ بن يعرب احد اركانه مبنى من الرخام الاحمر فيه سبعة سقوف طباقا ما بين السقف الاول خمسون ذراعا وجعل على كل ركن تمثال اسد من نحاس اذ هبت الريح دخلت من دبرة وخرجت من فيه لها صوت كزئير الاسد

---

(١) ابن هشام: هوابو محمد عبد الملك ابن هشام بن ايوب الحميري كاتب سير ومؤرخ بصري عالما بالإنسان واللغة واخبار العرب عامر الشافعي والتقى به في مصر توفي سنه ٢١٨ه /٨٤٠م.

(٢) الابلق: حصن متيع وهو يوجد في حاضرة بتيماء وهو للسمؤل بن عادي اليهودي سمي هذا الاسم لاختلاف الوانه يضرب به المثل لمناعته حيث كان يصدر كل تجارة فتختلف الرواية في شأن من بناه.

(٣) يعرب بن قحطان : احد ملوك العرب في الجاهلية وهو ابو قبائل اليمن كلها ونبوة هم العرب العاربة تغزواليه الرواية غزو الأشوريين وبابل وحاربه العمالقة ويعود له الفضل وابوة في دعوة العرب الى الاحتفاظ بأساليب لغتهم بعد ما غزتها لغات امم اخرى.

،وقال ابن الكلبي[١]: كان كل ركن من اركان غمدان مكتوبا بالحميرية :-اسلم غمدان معاديك مقتولا بسيف العدوان...وروى ان عمر بن الخطاب (رض)قال:-لا يستقم امر العرب ما دام فيها غمدانها وهذا القول هو الذي حظ عثمان بن عفان (رض)على هدمه"(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٩٠-٩١)(Al-grnaty,1993,p90-91)

جاء في رواية عن مبنى اسمه القليس في اليمن قال فيها :وهي كنسيه بناها ابرهة بصنعاء واراد ان يصرف اليها حج العرب ،ونقل اليها الرخام المجزع ،والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس ...وبقت كذلك الى زمان ابي العباس السفاح،فذكر له امرها وما يتهيب من جنها فلم يرعه ذلك فبعث اليهامن خربها واخذ ما كان بها"

(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٩١-٩٢)(Algrnaty,1993,p91-92)

وفي رواية اخرى للغرناطي عن عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض)جاء فيها :فلما استفتح عمرو بن العاص الإسكندرية احتالت الروم بان بعثوا جماعة من القسيسين المستعربة اظهروا انهم مسلمون واخرجوا كتابا وزعموا ان ذخائر ذي القرنين في حوف المنارة فصدقهم العرب لقله معرفتهم بحبل الروم وعدم معرفتهم منفعة تلك المرأة والمنارة وظنوا انهم اذا اخذوا الذخائر والاموال ،اعادوا الذخائر والمرأة كما كانت فهدموا مقدار ثلثي المنارة فلم يجدوا فيها شيئا وهرب اولئك القسيسون فعلموا حينئذ انها خدعه ،

فنبؤها بالأجر ولم يقدروا ان يرفعوا اليها تلك الحجارة (الغرناطي ، ١٩٩٣،ص٩٩) (Al-ghirnatiu ,1993,pp99)

في رواية نقلها الغرناطي عن الشعبي في كتاب سير الملوك قال فيها :- ان اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (رض) كان يوما جالسا بظاهر الكوفة اذ اقبل اعرابي من اليمن فسلم عليه وهنأه بالخلافة وقال يا امير المؤمنين جئت اليك من اليمن لتعلمني بما علمك مما انتفع به من ديني : فقال امير المؤمنين :-من اي بلاد_اليمن

---

[١] ابن الكلبي :ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشير بن عمرو الكلبي توفي ٢٠٤ ه/٨٢٨م وهو مؤرخ عالم انساب واخبار العرب وايامها ووقائعا ومثالبها ،نقل عنه ابن سعد ،البلاذري ،الطبري المسعودي، باعتباره ثقة.

انت يا اخا العرب؟ فقال:-من حضرموت فقال لـه علـي :- اتعـرف الاحقـاف[١] فقـال الملـك تريـد حفيـدة هـود النبـي عليـه السـلام؟..." (الغرنـاطي،١٩٩٣،ص١٤-Al-ghirntiu1993,p14).

ومن روايات الغرناطي التي تناولها اثناء حديثـه عـن صـفات الحفـائر والقبـور رواية عن عهد عمر بن الخطاب" رض "قـال فيهـا :"وفـي زمـان عمـر بـن الخطـاب ايضا فتح ابو موسى الاشعري[٢].

مدينه خراسان فدخل مدينه السوس [٣] فوجد في خلعتها بيتـا عليـه اقفـالا ففتحـه فوجد فيه صندوقا من رخام فيه رجل ميت صـحيح الجسـد فكتـب ابـو موسـى الاشـعري الى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فسأل عمـر بـن الخطـاب كعـب الاحبـار[٤] فقـال لـه ياامير المؤمنين دانيال النبي عليه السلام كان في سـباه بخـت نصـر لمـا بيـت المقـدس ...وكتب الى ابو موسى ان يدفنه تحت الماء بحيـث لا يصـل الـى جسـده انسـان فـأمر ابو موسى بنهر السويس فحوله من مكانه وحفرفي وسط ذلـك النهـر واطبـق علـى ذلـك الصندوق لوح رخام ملصق بالرصاص وبنـى عليـه ضـريحا محكمـا بالصـخر والنـورة حتى لا يصل اليها الماء ثم احرى النهر على قبرة وبنـى بقربـه علـى جانـب الشـط فـي محاداةالقبرمسـجدا كبيـرا يعـرف بمشـهد دانيـال..." (الغرنـاطي،١٩٩٣،ص١٥٤-١٥٥)(Al-ghirnatiu ,1993,p154 -155)

---

(١) وردت هذه الرواية بصيغه مختلفة عند البكري في كتابه معجم ما استعجم وعند ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان.

(٢) ابو موسى الاشعري :عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حـرب صـحابي مـن الفاتحين الشجعان واحد الحكمين في النزاع بين الامام علي ع ومعاوية فـي معركـة صفين ،وتولى لعمر بن الخطاب رض اصبهان والاهواز واقره عثمان عليها توفي سنة ٤٤ه.

(٣) السوس: مدينة في اقليم خوزستان افتتحها المسلمون سنه١٧ ه على يد ابـو موسـى الاشعري الذي فتح خوزستان واشتهرت المدينة بزراعـه قصـب السـكر وصـناعة الحرير.

(٤) كعب الاحبار،كعب بن مانع بن ذي هجى الحميري ابواسحاق تابعي كان في الجاهليـة من الكبار على اليهود في اليمن ، اعتنق الاسلام في عهد ابو بكر الصديق ، أخدعنـه عدد كبير من الصحابة وتعلم هو الكتاب والسنة.

وفي رواية ايضا نسبها الغرناطي لكعب الاحبارعن مدينة ذات العماد قال فيها :"ثم ارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما قدم عليه وسلم وجلس فقال له معاوية يا ابا اسحاق هل سلفك ان الدنيا مدينه من ذهب ؟ فقال كعب نعم ياامير المؤمنين ولقد ذكرها الله عز وجل لنبيه محمد(ص) مختصرة فقال عن ما قائل:" الم تركيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد"(سورة الفجر ،آية٥) وقد اخفاها الله عن عين الناس وسيدخلها في هذة الامه رجل يقال له عبدالله بن قلابه الانصاري[١] جعل يصفه...

فان صمته واسمه في التوراة ولا يدخلها احد بعده الى يوم القيامة"(الغرناطي،١٩٩٣،ص٥٩)(Al-grnaty,1993,p59) في رواية عن مدينه النحاس نقلها عن هقل بن زياد[٢] قال عنها:"ان عبد الملك بن مروان بلغه خبر مدينه الأندلس انها بالأندلس فكتب الى عامله بالمغرب انه قد بلغني خبر مدينه النحاس...فاذهب اليها واكتب الي بما تعاينه من العجائب وعجل بالجواب سريعا ان شاء الله قال فلما كتاب عبد الملك بن مروان الى عامله بالمغرب موسى بن نصير خرج في عسكر كثيف وعدة كثيرة وزاد لمدة ، وخرج معه الاولاد يدلونه على تلك المدينة فسافر على غير طريق مسلوك لمدة اربعين يوما حتى اشرق على ارض واسعه كثيرة المياه والعيون والاشجار والوحوش والطيور والحشائش والازهار وبدأ لهم سور مدينه النحاس كان ابدي المخلوقين تصنعه منها ولهم منظرها.

تم ان الامير موسى رحمه الله الى قسم عسكره الى نصفين وانزل كل طائفه في ناحيه من سور المدينة فارسل قائدا من من تواده في الف فارس وامره ان يدور حول المدينة وينظر هل يدري لها بابا او يشاهد حولها احدا من اناس فسار ذلك القائد وغاب عن الامير ست ايام ..."(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٥٩-٦٠)

(Al-grnaty,1993,p59-60)

---

(١) عبد الله بن قلابة الانصاري:-عبد الله بن زيد ولد بالبصرة ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من اهل البصرة ادرك خلافة عمر بن عبد العزيز قيل توفى سنة ١٠٤او ١٠٥او ١٠٦او ١٠٧ه.

(٢) هقل بني زياد: ابو عبد الله الدمشقي كاتب الامام الأوزاعي من حفاظ الحديث قدم مصر وكتب عنه اهلهاوتوفي سنة ١٧٩ه

ويستطرد الغرناطي في روايته عن مدينه النحاس حتى يصل الى البحيرة الموجودة في المدينة[1] فيكمل روايته عنها بشكل تاريخي حيث انه نقل وصف موسى بن نصير للمدينة وما شاهده من مناعتها حتى انه لم يجد لها باب وعدم استطاعته دخولها ومشاهدته لألواح الرخام وكتب ما عليها وعاد بخبر هذه المدينة وبحيرتها الى الخليفة عبد الملك بن مروان فقال "ثم كتب موسى بن نصير الى عبد الملك بجميع ما راه من آمر المدينة والبحيرة فلما وصل الكتاب الى عبد الملك بن مروان تعجب من أمر المدينة ومن تلك المواعظ والوصاياالتي على الالواح واسماء الملوك وذكر النبي عليه السلام وشرف امته وقال :-الحمد لله الذي جعلنا من امته عليه السلام"(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٦٧) (Al-grnaty,1993,p67).

ان الاستقراء المتمعن للرواية الانفة الذكر يمكن ان تدفعنا للقول ان الغرناطي نقلها ربما من ابن الفقيه (الهمداني، د.ت، ص١٣٩-١٤٠) (Al-hmadane,n.d,p139-14 0)

مثلما نقل غيره من المتأخرين تفاصيل هذه القصة عن افريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ،فان الخليفة توفى سنة (٨٦ ه / ٧٠٣م)بينما ولي موسى بن نصيرعلى افريقية وماوالاها في سنة (٨٨ه/ ٧٠٥م)اي في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ه/ ٧٠٥-٧١٥م)ونقل هذه الرواية ايضا المسعودي (المسعودي ، ٢٠٠٥،ج١،ص٣٠وج٢ص١٢٥) (Al-masaode-2005, p1, p30. w. p2p125)

اذ ان رواية الهمداني تمتاز بتفاصيل لم يتم العثور على غيرها، اما ياقوت الحموي فخصص نحو صفحتين من معجمه لا يراد هذه القصة التي اعرب عن تحفظه الشديد بشأنها قائلا:-"ولها قصة بعيدة عن الصحة لمفارقتها العادةوانابرئ من عهدتها انما اكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العقلاء ومع ذلك فهي مدينة مشهور الذكر ،وهكذا فان هذه المدينة الاسطورية التي يزعمون ان موسى بن نصير قد سار الى الاندلس للتعرف عليها قبل افتتاح الاندلس قد سرت كثيرا من الورق

---

(1) يذكر ان موقع هذه البحيرة هو ليس بالأندلس وانما في بحيرة تشاد يصح عليه ان تكون المدينة اصلا في القارة الإفريقية ليس في الاندلس اساسا.

ونالت اهتمام علماء لم يكن مع المتصور ان يغيب عن اذهانهم الطابع الخرافي التي يسودها " (ياقوت الحموي ،٢٠٠٨،ج٧،ص٢٢٦-٢٢٧)
(Yako Alhmawy,2008,p7,p226-227) عن منارة الاسكندرية جاء الغرناطي برواية قال عنها :-"فاحتال لملك الروم لما انتفع المسلمون مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بان انفذ احد خواصه ومعه جماعة الى بعض ثغور الشام على انه راغب في الاسلام فوصل الى الوليد، واظهرالاسلام واخرج كنوزا ودفائن كانت في الشام مما حمله على ان صدقه ثم قال لهم:-"ان تحت هذه المنارة من الاموال والذخائر والاسلحة، كفنها الاسكندر ، فجهز جماعة من ثقاته الى الاسكندرية فهدم ثلث المنارة وازال المرآة فظن الناس انها مكيدة واستشعر ذلك فيما بينهن فهرب في مركب كانت موعودة ليه ثم بينما هدم بالجص والاجر والنورة وطول هذه المنارة في الوقت الذي وضعت فيه هذا الكتاب وهو سنة ثلاثين وثلاثمئة ومئتان، ثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحو اربعمائة ذراع وكان احمد بن طولون[١] قد بنى في اعلاها قبة من الخشب ثم هدمت وبنى مكانها مسجدا ايام الملك الكامل صاحب مصر[٢] ... ثم كاد ان ينقض فهدم واصلح وذلك في ايام الملك الظاهر ركن الدين ابي برس[٣] الوجيه" (الغرناطي، ١٩٩٣، ص٩٨) (Al-grnaty,1993,p98) المتتبع لسنة ولادة الملك العادل والظاهر الذين عزت الرواية بناء واصلتح المسجد في عهدهما يجد انها فيها ما يثير الشك اذان الملك الظاهر ولد سنة ٦٢٥ه/ م اي بعد ٦٠ سنة من وفاة الغرناطي ،اما الملك العادل فانه ولد بعد وفاة الغرناطي بإحدى عشرعام وهذا يوكد ان هذا النص هو من اضافات المتأخرين.

وفي رواية عن مدينة باب الابواب قال فيها:-"وفي بلاد دربند باب الابواب امة يقال لهم الطبرسلان... اسلموا في زمن مسلمة بن عبد الملك لما بعثه

---

(١) احمد بن طولون :-هو ابو العباس امير مصر ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام من ٢٥٤-٢٧٠هكان والي الدولة العباسية في مصر وهو اول من يستقل بمصر واستطاع اخماد عدد الثورات في بلاد الشام.

(٢) هو محمد بن محمد العادل بن ايوب ابو المعالي ناصر احد سلاطين مصر ولد سنة ولد سنة ٥٧٦ه توفي سنة ٦٣٥ه

(٣) ركن الدين بيبرس البندقداري صاحب الفتوح والاثار ولد الملك الظاهر بارص القبجاق سنة ٦٢٥ه ، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٦ه.

هشام بن عبد الملك حين ولي الخلافة ففتح باب الابواب فاسلم على يده امم كثيرة...ولماارادمسلمة الرجوع بعد ما اسكن في دربند اربعةوعشرين الف بيت من العرب من الموصل ودمشق وحمص وتدمر وسائربلادالشام والجزيرة وقال له ايها الامير انا نخاف اذا انصرفت عنا ان تريد هذه الامم ونشقى في محاورتها.فاخرج مسلمة سيف نفسه فقال : سيفي بينكم اتركوه هنا فما دام بينكم لايرتد من هذه الامم احد فعلموا لسيفه كالمحراب ... هوالان باق في تلك الارض يزوره الناس"(الغرناطي ، ١٩٩٣، ص١٠٠-١٠٩) (Al-grnaty,1993,p100-109) وعن عين ماء في جبل بالقرب من خوارزم جاء الغرناطي برواية قال فيها: " جاء اليه محمود[1] صاحب غزنة وقام عليه ثلاث سنين لم يترك احدا من اهل الرساتيق واهل خوارزم وجميع عسكره الاحملوه اليه التراب والخشب القصب والحجارة والزواريق فغاص الجميع في ذلك الماء ولم يؤثر فانصرف عنه ايسا...واقام علاء الدولة خوارزم شاه اربعين سنة يحتال امره بكل حيلة فلم يستطيع له حيلة وقدحدثني بعض علماء خوارزم بها"(الغرناطي،١٩٩٣،ص١١٣)

(Al-ghirnatiu-1993,p113) ويرى كراتشكوفسكي(كراتشكوفسكي ،١٩٨٧ ، ص٤٧٨)(kratchovsky1987,p,478) ان الغرناطي قدم معطيات قيمة عن بعض بلدان اوربا كذكره للألمان تحت اسم نامس ،وحكايته عن هنغاريا التي تلقي ضوءاعن اصل المسلمين الهنغاريين ووصفهم ،كما يرى ان وصفه لروما ينطبق على القسطنطينية لا رومة نفسها ،اما معطياته عن حوض الفولغا الاوسط والادنى ، وعن شعوب القوقاز فهي تمثل اهمية كبرى،كما نالت اهتماما كبيرا قصته عن تجارة العظام التي نشطت بين سكان الفولغا وخوارزم (الغرناطي ،١٩٩٣،ص١٣٦-١٣٧) (Al-grnaty,1993,p136-137)

---

[1] محمود :هو ابو القاسم محمود بن سبستكين الغزنوي حكم الدولة الغزنوية لقب بسيف الدولة، ويمين الدولة ،وبطل الاسلام وفاتح الهند، ارتفعت الدولة الغزنوية في فترة حكمه، وتوسعت مملكته الى بخارى وسمرقند وشملت افغانستان وبلاد ما وراء النهر امضى اغلب حياته بالجهاد والغزو

رابعا:-منهج الغرناطي في التحفة:-

تعتبر اسلوب الغرناطي في التحفة اسلوبا ادبيا فيما قصده ورواه من مشاهداته الشخصية المسلية وما نقله عن غيره مما وثق بنقله من العجائب والغرائب وهذا ما اكده كثرة النسخ في مختلف البلاد(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٢٣-٢٦)

(Al-grnaty-1993,p23-26)

وصف الغرناطي المدن على مستوى جغرافي وعمراني وبرز العنصر الأدبي واضحا في جمال اللفظ وحسن التدبير وقوة المعنى من خلال النص النثري الذي كتبه على شكل دعاء لصديقه الشيخ معين الدين ابي حفص الاردبيلي فهو يتبني في مقدمة كتابه ذاكرا فضله على تصنيف مؤلفه فاستخدم السجع في دعائه فقال :-"فشهدت من كرمه واكرامه وتواضعه وانعامه وبره بجميع المسلمين واطعامه القاصدين منهم والقاطنين، وتقشفه في لباسه ،على زي الصحابة والتابعين ،والاقتداء بالأئمة الصالحين العاملين كانه ملك في زي مسكين فهو في العصر معوم القرين ، جازاه الله عمي وعن جميع المؤمنين افضل جزاء المحسنين"(الغرناطي ، ١٩٩٣،ص٣١)(Al-grnaty ,1993,p31) يمكن ان نصف الغرناطي بضعف روح النقد وقلة التمحيص لما يجمعه من الروايات والعجائب، الا انه في الوقت نفسه يعوض مشاهداته القريبة ببساطة ودقة وامانة وعفوية هي اقرب للسذاجة .فهو يصف بلاد البلغار وصف العارف الذي عايش اجواءها وكل مظاهر طبيعتها ومارآى فيها من عادات لم يألفها اهل المناطق الدافئة من شعوب البحر المتوسط لكن مما يؤخذ على ابو حامد سرعة التصديق لما يسمع ويشابه في هذا المجال ابن فضلان الذي سبقه الى هذه المناطق.

(الشهابي،٢٠١٨،ص٨٩) (Al-shahae,2018,p89)كما ويربط الغرناطي في مقدمته بين العجائب والغرائب التي وردت في رحلته وبين قدرة الله عز وجل فما هذه الابعض مظاهر قدرته وحكمته وربما سبب هذا الربط ليوكد للقارئ مصداقيته فيما يقص وواقعيته ويبتعد عن الريبة والشك فيما يروي من احداث غريبة ويدعو الى التأني قبل الاسراع لتكذيب ما شاهده كذلك ليبعد رحلته عن الخيال فقال:-"فالله تعال فرق بين العالمين في العقول...وضيق باع فضله"

(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٣٠) (Al-grnaty,1993,p30) وفي حديثه عن مدينة النحاس ايضا يورد روايته على لسان هقل بن زياد وهو من حفاظ الحديث ليجعل القارئ يثق بما يرويه دون ان يشك في صحةما يقص ويصدقه ،ويوهمه بواقعية

هذه المشاهد والاحداث فذكر اسماء مشهورة في التراث العربي الاسلامي كعبد الملك بن مروان وموسى بن نصير .

وقد ابتعد الغرناطي عن الواقع كل البعد وامعن في الخيال فأضاف اشياء خيالية الى ما شاهده من البلدان ودعم بناءه العجائبي(مكاوي ،٢٠١٨،ص٢٩٨) Makawy,2018,p298)

واهم ما امتازت به رحلة الغرناطي هو قلة خطه من النقد فكان ينقا ما يسمع عن غيره دون ان يتكلف عناء اختيار ما يقول فكان حريا به ان يكذب هذه الاخبار فكثرفي كلامه الخوارق والخرافات(ابوسعيد١٩٦١،ص١٢٨؛ مونس ١٩٨٦، ص٣٤٣)

(abo saaeed,1986,p128;mounas,1986,p343)، لكن هذا يمكن ان ينفي ما اكده الغرناطي انه شاهد مثل هذه العجائب واختبرها بنفسه ولعل ما حمله على رغم توكيد المشاهدة الحية في تشويق السامعين والولع بلغت انتباههم بهذه الحكايات والنوادر فيكون ما جاء به نوعا من الخيال الادبي الذي يضيفه على مشاهداته في رحلته على سبيل القصص والاطراف بالحكايات (البري، ٢٠١٣، ص٤١٥) (alpeiry,2013,p415)، وربما السبب في ذلك هو ان المجتمع في القرن السادس الهجري وما بعده ما عادوا يرغبون كتبا جغرافية صرفة مثل المؤلفة من اعلام البلدانيين والجغرافيين، انما طالبوا بكتب مسلية ،وترويح عن النفس، ولم يكن امام الغرناطي الا ان يؤلف كتابه على هذا الشكل فكان من أوائل من اتجه بالعلم الجغرافي نحو العجائبية (مؤنس ، ١٩٨٦ص٣٣٧)

(Mounas,1986 ، P337)وبهذا يعد كتاب تحفة الالباب مصنفا فريدا في تأليفه فهو خليط عجيب من الواقعية والخيال (كردي،٢٠١٣،ص٢٩٠)

(kourdy,2013,p290). فهو ليس كتاب رحلات ولا كتاب غرائب وعجائب وليس كتاب جغرافيا خالصا وانما هو مزيج من ذلك كله ،نلقى فيه الرحالة والجغرافي الدقيق البعيد الملاحظة والعجائبي المسرف فيما يرويه من اخبار المستجدات واوصافها (مونس،١٩٨٦،ص٢٠٤)

(mounas,1986,p204)الا ان الخيال والخرافة اشوق ما فيه حيث يشد القارئ فلا يبتعد عن القراءة والاستمتاع بالحكايات التي تنأى عن الواقع اليومي (الشوابكة ،٢٠٠٦،ص٣٧) (Al-shawabika,2006,p37) يعتمد الغرناطي في

مشاهداته على عنصر المبالغة اذ نجده يقوم بروايته لكائنات واقعية بمقاييس خيالية تفوق الحجم الطبيعي وهو يتجاوز ذلك بادعائه رؤية طائر اسطوري اصلا لا يوجد الافي قصص الخيال والمبالغة الشكلية للإنسان والحيوان في البر والبحر تدعم الخيال في الرحلة مثال ذلك طائر" يعرف بالرخ يكون جناحه الواحد عشرة الاف باع وبيضته كالقبة العظيمة لامعة براق اعلى من مئة ذراع"(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٩٢-٩٣)

(alghirnatiu,1993,p92-93) . ومن اجل ان يوسع الغرناطي نطاق معلوماته فانه كثيرا ما اوردعلى لسان الغير لا يمثل في الواقع اهمية الالسهولة

تصديقه للعجائب واعتقاده بها،ففي القاهرة مثلا يتجاذب الحديث مع اهل الحجاز عن عجائب الهند والصين حتى امضى ذلك الرجل اربعين سنة من عمره (الغرناطي ،١٩٩٣،ص١٢٩) (alghirnatiu,1993,p129)وفي بغداد يستفهم احد مسلمي صقلية عن ثورات بركان اثنا(الغرناطي ،١٩٩٣،ص١٢٨)

(Alghirnatiu,1993,p128) .وفي هنغاريا يجمع اخبارا مفصلة عن اهل البلاد عن القسطنطينية والمشاكل السياسية (الغرناطي ،١٩٩٣،ص١٥٢)

(Alghirnatiu,1993,p152)

تعد مشاهدات الغرناطي ثلث الكتاب تقريبا فهي تنال اهمية خاصة في روايته لما رآه بعينيه خاصة تلك الابنية والمعالم المختلفة فقد خلف لنا مقدارا ملحوظا من المعطيات الطريفة ،فهو قد ر اعمدة هرقل عند مضيق جبل طارق قبل فترة قصيرة من انهيارها عام ١١٤٥م. ومن بين المميزات التي امتازت بها مشاهدات الغرناطي هو مشاهدته لفنار الاسكندرية في صورته التامة وكان من بين مجموعة من الجغرافيين الذين تناولوا هذا الفنار(الشهابي ،٢٠١٨،ص٨٧)

(Alshahabe,2018,p87). كما شاهد قرب القاهرة بعين شمس المسلة التي سقطت عام ١١٦٠م كما نفذ الى داخل هرم خوفو(الغرناطي ،١٩٩٣،ص٩٩-١٠٤)

(Alghirnatiu,1993,p99-104) يمتاز الكتاب بالروح العلمية التي تدفع الكاتب الى تحقيق ما يرويه واسنادها بعناية الى من ينقل عنه وكون القصص والحكايات التي يقدمها كانت مسلية ومثيرة ويمكن ان يعد الغرناطي لمدرسة تتوافق مع ادب الرحلة والجغرافية ،ومن السهل التفريق بين مصادر مادة كتاب "تحفة الالباب"اذ يورد الغرناطي اسماء رواته بدقة قائلا:-"يقول الاعشى في شعره" ،"وذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك "، "قال جعفر الصادق " ، "وابن حزم في رسالته التي وضعها

في وصفها" ، "واصحاب التواريخ حكوا في كتبهم" ، "قال الجاحظ في كتاب الامصار " ،"وذكر الجاحظ في كتاب الحيوان "، "وقال الكلبي"، "وقال ابن هشام " ، "وحكى المسعودي " "وذكر الشعبي في كتاب سير الملوك " (الغرناطي ،١٩٩٣،ص٤٣و٥٠و٥٥و٧٢و٧٧و٨٣و ٨٩و٩١و ٩٧و١٣١و١٤٧و ١٤٩و١٥٢) (alghirnatiu,1993,p43,50,550,72,77,83,89,91,131,147,149,152).

في نفس الوقت نجد الغرناطي يتحدث عن نفسه بضمير المتكلم فقال:-"فاني رأيت" ، " رأيت في تاريخ صنعاء" ،"دخلت ابهر سنة ٥٢٤ " ، "حدثني بعض علماء خوارزم بها" "حدثني بعض التجار " ،"اخبرني ثقة عن رجل من اهل اليمامة"(الغرناطي_، ١٩٩٣، ص٤٢، ١٠٤ ،١٢٢،١٢٣ ،١٤٤ ،١٥٢،١٠٧، ١١٣، ١٣٩،١٤٩،١٥٤)

(algirnatiu,1993,p42,104,122,123,144,152,107,113,139,149,15)

ويعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في مقدمة مصادره (الغرناطي ، ١٩٩٣، ص٥٠-٥١) (alghirnatiu,1993,p50-51) ان هذا المؤلف له اهمية خاصة لما تضمنه من معلومات فريدة جمعها المؤلف خلال رحلاته المتعددة فنجده عدد من الجغرافيين العرب نقلوا عنه منهم القزويني في كتابه "عجائب المخلوقات "وكتابه "اثار البلاد "،وابن الوردي في "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" وغيرهم .

الخاتمة :-

من خلال البحث تم التوصل الى عدد من النتائج اهمها:-

١-هو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان الاندلسي الاقليشي الغرناطي القيرواني ولد في غرناطة سنة ٤٧٣ه/١٠٩٥م،تنقل وارتحل ويبدو الهدف منها هو التعلم والاستفادة من علماء البلدان التي زارها خاصة الاسكندرية والقاهرة وبغداد وخوارزم وابهر والاراضي الروسية ، وكان من نتاج رحلته هذه وصوله الى الموصل وتأليف كتابه تحفة الالباب الى ان وافاه الاجل في دمشق عام ٥٦٥ه.

٢-ان سبب تأليف الغرناطي للتحفة هو تشجيع شيخه ابو حفص عمر بن محمد الذي نزل عنده في الموصل ،ليكتب مؤلفا فيما شاهده من رحلته من عجائب البلاد فأجاب الطالب لأستاذه بالإضافة لسببه الخاص في انعكافه على التآليف.

٣-جاء في كتاب في كتاب التحفة روايات تاريخية عن احداث التاريخ خاصة عصر ما قبل الاسلام والعصر الراشدي والاموي والعباسي ،ووجد في بعض هذه الروايات ومن خلال استقراء التواريخ اذ انه حشو من المتأخرين خاصة فيما يتعلق ببناء الملك الكامل لمسجد في منارة القاهرة واصلاحه من قبل الملك الظاهر .

٤-امتاز اسلوب التحفة بالأسلوب الادبي رفيع فهو مصنفا فريدا في بابه فهو خليط عجيب من الواقع والخيال ،وليس كتاب رحلات ولا كتاب غرائب وعجائب وليس كتاب جغرافيا خالصا وانما هو مزيج من ذلك كله وامتاز الكتاب بالروح العلمية التي تدفع الكاتب الى تحقيق ما يرويه ويسنده بعناية الى من ينقل عنه فمن ألسهل التفريق بين مصادر مادة كتاب تحفة الالباب.

المصادر والمراجع:-

اولا:- المصادر -:

_البكري،،بن عبد العزيز(د.ت)،معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ،عالم الكتب ط٣،بيروت .

_الصفدي ،صلاح الدين خليل بن ايبك (١٩٦١)،الوافي بالوفيات ،تح هلموت ريتر ، المانيا .

_الغرناطي ،ابو حامد عبد الرحيم بن سليمان (١٩٩٣)،تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، دار الافاق الجديد ،تح اسماعيل العربي ،المغرب.

_الهمداني ،ابي عبد الله احمد بن محمد (د.ت)،عالم الكتب ،تح يوسف الهادي ، بيروت.

_المسعودي ،ابي الحسن علي بن علي (٢٠٠٥)،شرح وضبط عفيف نايف حاطوم ،دار صادر ،بيروت .

-المقري ،احمد بن محمد (١٩٦٨)،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب،دار صادر ،تح احسان عباس بيروت.

ثانيا:-المراجع والمجلات :-

_ابو سعيد ،احمد (١٩٦١) ،ادب الرحلات ،دار الشرق ،بيروت .

_دنيا ، مكاوي(٢٠١٨)،النثر الخيالي في الاندلس في القرنين الخامس والسادس الهجري

_الشهابي ،مصطفى (١٩١٨)،الجغرافيون العرب ،مكتبة المشارق ،تخ نبيل ابو القاسم ،مصر .

_كراتشكوفسكي ،اغناطيوس (١٩٨٧)،ترجمة صلاح عثمان هاشم راجعة ايغور بلبات ،جامعة الدول العربية ،لا.ب .

_كردي ،علي ابراهيم (٢٠١٣)،ادب الرحلة في المغرب والاندلس ،الهيئة السورية للكتاب ،دمشق.

_ مؤنس،حسين (١٩٨٦)،تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ،مكتبة مدبولي ، القاهرة .

الرسائل والاطاريح:-

_البري ،صبا محمد (٢٠١٣)،النثر الادبي لفقهاء المغرب والاندلس في عصري الطوائف والمرابطين ،جامعة دمشق.

_الشوابكة ،نوال (٢٠٠٦)،ادب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى القرن التاسع الهجري ،الجامعة الاردنية .

Translating sources and references :-

Firs :_Sources:_

-AlBakri ,bin Abdul Aziz (n.d) 'Dictionary of the names of the countries and places that were turned,the world of books,E.3 Beirut.

– AL-Safadi ,salsh Alisyn Khalil bin yank(1961) ,Al – Wafi bialwafayat I. helimnt Ritter ,Germany.

-AL-Ghrnatiu,Abu Hamid eabd al Rahim bin sulayman(1993) ,Amasterpiece of the door and an elite of admiration,lismaeil al earabi ,Morocco.

-IbnAl-faqihAl-Hamdan,AbiAbdullah Ahmad bin Muhammad,The Countries ,(n.d),the world of book ,Iyoussef aal--Al-Masoudi,Abi Al-Hassan Ali bin Ali (2005),Meadows of Gold AMD essence minerals ,afif nayef Khartoum,Darlington sader, beirut.

-Al-Masri ,Ahmed bin Mohammed,(1968),blossom of perfume in the wet branch of andalusia,Dar sader,I.Ehsan Abbas ,bbeirut.

Secondly:- references and journals:-

-Abo Saeed,Ahmed (1961),Trips ethics,orient house ,beirut.

-Makawi(2012),Al-fictional prore in Andalusia in the fifth and sixth centuries.H, (n.e,n.c.).

-Shehahabi,Mustafa(1918),Arab geographers ,alMashareqlibrary-.Nabil Abu Al-qasem ,EEgypt.

-Kratch nevsky,igntius(1987),T.salah othmanhashem,checkik out for bulbat ,league of Arab states ,N.C.

-Kurd,Alil brahim(2013),Travel Literature in Morocco and Andalusia ,Syian book authority ,Damascus.

-Mons,Hussain(1987),History of geography and geographers in Andulusia ,Madbouly library ,Cairo.